

ا.دميمونة خليفة الغنبي الصباح- اساتذ التاريخ- جامعة الكويت

يتناول هذا البحث جانباً مهماً من تاريخ الكويت والعلاقات الكويتية العثمانية والعلاقات الكويتية البريطانية، بعد عقد اتفاقية الحماية البريطانية على الكويت عام 1899، وعبر النصف الأخير من القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الأولى في مطلع القرن الحالي.

كما يتعرض هذا البحث بالعرض والتحليل لموقف الدولة العثمانية من الكويت، وردود فعلها المختلفة بعد توقيع اتفاقية الحماية مع بريطانيا. ومما يزيد من أهمية هذا البحث انعكاسات نتائجها على مصالح ونفوذ كل من بريطانيا والدولة العثمانية في الكويت ومنطقة الخليج العربي والعراق.

وتكمن أهمية البحث في اعتماد الباحث على الوثائق الأصلية التي أمكن الحصول عليها من كلا الجانبين البريطاني والعثماني، أصحاب الصلة المباشرة بأحداث هذه المرحلة، مما يلقي مزيداً من الضوء على الأحداث، ويؤمن مزيداً من المصادر الأصلية التي تساعد في الوصول إلى الحقيقة التاريخية، وهي الهدف المنشود فإلى الجزء الرابع من البحث.

كنا قد توصلنا في الجزء السابق إلى تمسك الدولة العثمانية بسيادتها على الكويت ورؤية الحكومة العثمانية لوجوب صيانة حقوقها و منافعها في الأراضي الكويتية والاحتجاج لدى الحكومة البريطانية.

ومن كل ما تقدم، نجد ان الدولة العثمانية بعد ان استنفدت كل وسائل اللين مع الشيخ مبارك في محاولة ثنيه عن الاتجاه للانجليز، والارتباط معهم في معاهدة تؤكد نفوذهم و سيطرتهم في الكويت، وتسفح الوجود العثماني هناك، راحت تستشعمل وسائل القوة والشدة لتأكيد نفوذها في الكويت.

والاصرار على اعتبار الاخيرة جزءاً من اراضيها، ورفضها للمشاريع البريطانية فيها، وذلك بممارسة وسائل الضغط على الشيخ مبارك، بإرسال الجيوش لإرهابه تارة وتهديده بنفيه من بلاده تارة اخرى، ولم يكن امام الحكومة البريطانية - ازاء ذلك - الا ممارسة الاساليب الدبلوماسية بالاحتجاج لدى الحكومة العثمانية والتلويح بانها ستساند الشيخ مبارك ولن تتخلى عنه في مواجهة التحديات والتهديدات العثمانية التي يتعرض لها بين الحين والآخر.

الدبلوماسية البريطانية

وكانت وزارة الخارجية البريطانية قد طلعت من سفريها في الاستانة لغت نظر الحكومة التركية الى خطورة الوضع واحتمال تدخل الانجليز لمصلحة الشيخ مبارك الذي يرتبطه به علاقة صداقة وذلك عند وصول السفينغ «زحاف» لنفي الشيخ من بلده (1)، وقد جرت مقاضات طويلة بين لندن واستانبول تعرضت الحكومة البريطانية خلالها لضغط من السفارين الروسية والامانية. وفي جلسة مجلس الوزراء (النظار) التركي في 13 أغسطس 1901، رفض توفيق باشا ناظر الخارجية فكرة والي البصرة الجديد مصطفى ثوري باشا للهجوم على الكويت، لكنه أكد ان الكويت جزء لا يتجزأ من الامبراطورية العثمانية (2).

السفير البريطاني

وعندما احتشدت قوات تركية تقدم السفير البريطاني في الاستانة باحتجاج شديد للهجة الى الحكومة التركية وصف فيه عملها بأنه جعل بريطانيا تضطر الى الاخلال بتعهداتها بالحفاظة على الوضع القائم في الكويت، وشرق الجزيرة العربية والخليج الفارسي (العربي). فرفض توفيق باشا هذا الاحتجاج واكد ان الكويت جزء من ولاية البصرة.

حاميات تركية

اما عن عدم وجود حاميات تركية في الكويت فقد ذكر: ان ذلك يعود الى عدم الحاجة اليها لوجود معسكرات قريبة في كل من القطيف والبدعة، كما ان الامبراطورية العثمانية لا تحتفظ بقوات مسلحة في كثير من البلدان العربية الواقعة تحت حكمها، لكن ذلك لا يعني عدم اعتراف تلك الاجزاء

لتلقى الاستفسارات ورسائل القراء

دكتور عبد الهادي العجمي أمين سر الجمعية التاريخية الكويتية
Email – www.his_ kwt.org – Email Abdulhadialajimi@hotmail.com
صندوق بريد – 23558 الصفاة :فاكس – 4812497

دراسة مقارنة بين الوثائق الإنجليزية والعثمانية ترصد انعكاساتها على مصالح القوتين في الكويت والخليج العربي والعراق (6-4)

الدولة العثمانية تلجأ إلى وسائل القوة والشدة لتؤكد نفوذها في الكويت

وخمسين ضابطاً وجندياً، إلا ان الأدميرال بوسانكويت ذكر ان قنابل مدفعية السفن ستكون قليلة الفائدة لوقف زحف القوات البرية، لاسيما ان قوات الامير أكثر من 10 آلاف عدا القوة الاحتياطية (22).

الوسائل الدبلوماسية

لذلك قابل السير أوكثور ناظر الخارجية التركي الذي أكد له ان قوة الأمير الموجودة في السماوة مبالغ فيها، ولكن السلطان أمر باعداد قوة كبيرة لصد أي محاولة لتقدم أمير نجد نحو الكويت، وكر استأذنها في ذلك على اقل تقدير، وأذنت له، ولابد في هذه الحالة انها ساعدته مساعدة فعالة. وانها امرت بعودته بعد ان تاكدت من الاستعدادات البريطانية لحماية الشيخ مبارك، بل من التهديدات البريطانية بإعلان حمايتها رسمياً على الكويت، فتخل بذلك باتفاقية الوضع الراهن في الكويت، ويتحقق بها عقد معاهدات واتفاقيات مع جميع المشايخ في المنطقة الواقعة بين نجد حتى الكويت، وتوقعت الدولة العثمانية ان بريطانيا لا بد لها بعد ذلك ان تستعد للدخول في مفاوضات مع ابن الرشيد أيضاً، لتوقع معه معاهدة حماية كبنية شيوخ المنطقة.

في المحافظة على ما حصلت عليه في اتفاقية الحماية سنة 1899م من عدم تصرف الشيخ في أرضه الا بإذنها، وجعلها منطقت نفوذ تابعة لها، وذلك بابعاد النفوذ الاجنبي عنها، وما تبع ذلك مثل: حق تفقيش السفن، وحظر تجارة الاسلحة، اما الشيخ فقد كان مركزا كبقية الشيوخ الذين عقدت معهم بريطانيا هذه الاتفاقيات ان من الصعب عليهم البقاء في الحكم دون حماية بريطانيا صاحبة النفوذ في المنطقة (24).

الخطوة العثمانية

ولم يتخّل العثمانيون في المقابل عما يدعونهم من حقوق سيادة في الكويت، واستمروا في محاولاتهم الرامية لتأكيد هذه السيادة، ورفض أي تغيير تحاول بريطانيا احداثه في الكويت، حتى ان الدولة العثمانية في قرارها الأخير نعت اصطدام ابن الرشيد مع الشيخ مبارك وأوامرها التي صدرت للأول بالعودة إلى مقره في السماوة اما كانت تهدف الى تأكيد سيطرتها على الشيخ، وعلى ابن الرشيد، وتعزيز سيادتها في الكويت والتصدي لأي محاولة من بريطانيا لتغيير هذا الوضع، وإعلان حمايتها رسمياً على الكويت وبقية امارات المنطقة، وبالفعل نجحت الدولة العثمانية في تنفيذ خطتها الرامية الى منع الاصطدام بين ابن الرشيد والشيخ مبارك، مما أفسح المجال امامها للتدخل لوضع حد لخلافاتهم، ولتثبيت سيطرتها في الكويت، فادى ذلك الى نتائج سياسية خطيرة على مجريات الامور في الخليج، إذ لم يرض بريطانيا ان تتاح هذه الفرصة للدولة العثمانية، فتاهجت نيتها الى ارسال الكولونيل كمبول (المقيم السياسي البريطاني في الخليج) مرة أخرى الى الكويت لبدء التصح للشيخ مبارك، كي يتجنب اعطاء الفرصة للنفوذ العثماني بصورة فعالة في شؤونه، الا ان الحكومة البريطانية أوقفت هذه الزيارة نظراً لحو الهدوء الذي ساد بين الطرفين، لاسيما وقد بدأت لبريطانيا قدرة الشيخ ابن الرشيد، وابدى ابن الرشيد استعدادها التام لاحترام اوامر السلطان. وفي مقابل ذلك اقترح ناظر الخارجية العثمانية على السفير البريطاني في الاستانة ان تقوم حكومته بإذّار الشيخ مبارك، بسان مبتنع من جانبه عن القيام بأي اعمال معادية وغير ودية ضد أمير نجد. فوجد السياسيون البريطانيون في ذلك حلاً مرضياً للمسألة ليس لأنه يؤدي الى القضاء على المشاكل وأحلال السلام فحسب، بل لأنه يعتبر اعترافاً من الحكومة العثمانية بسلطة الحكومة البريطانية على الشيخ.



الشيخ مبارك الصباح مع قيادات الدولة والجيوش

سحب القوات المزمع ارسالها الى الكويت على اثر تحركات الشيخ مبارك الأخيرة - التي تشير الى اتجاهه الى الانجليز - تعني ان الدولة العثمانية قد تخلت عن حقوقها المؤكدة في الكويت أبداً، وان الدولة العثمانية ستستمر في المحافظة على حقوقها غير القابلة للاعتراض، وعلى انجلترا ان تحمي حقوق و منافع الدولة العثمانية، في مقابل حماية الدولة العثمانية للحقوق البريطانية.

برقية سرية

ومن ناحية أخرى فقد ارسل اللورد لانسدون برقية سرية الى سفيره في الاستانة بوجوب مناقشة الأمور المتعلقة بقضية الكويت بحذر وروية، وذلك لأن بنود الاتفاقية مع الشيخ غير واضحة، لأنها أبرمت من وراء ظهر السلطان. وأنه في حال قيام الأتراك بادعاءات قوية فيجب على السلطات البريطانية في الخليج الدول في مفاوضات مع الشيخ، لوضع اتفاقية أكثر دقة ووضح من سابقتها (9).

وبهذا اتفقت بريطانيا وتركيا على احترام الوضع القائم في الكويت ووعدت تركيا ببذل مساعيها لاقناع أمير نجد باتّباع سياسة مسالمة تجاه الكويت في المقابل، ووعدت بريطانيا باقناع الشيخ مبارك بالكف عن جماعته ومغامراته على نجد (10).

العلم العثماني

وقد أثارت حكومة الهند قضية رفع الشيخ للعلم العثماني، واقترح استبداله بعلم كويتي خاص، واقترح «كمبول» ان يكون العلم احمر اللون، وكتبت عليه كلمة الكويت بالعربية، ولكن اللورد «لانسدون» رفض هذا الاقتراح لأنه يدلّ بتعهدات بريطانيا لتركيا بشأن المحافظة على الوضع القائم، واقترح ان يكتب في كتابه كلمة الكويت بالعربية على أحد جوانب الراية العثمانية (11)، ولكن الشيخ رفض



القصر الأحمر بالبحراء



أحد مداخل القلعة الحمراء

ذلك لأنه سيعرضه الى متاعب مع الدولة العثمانية، اذا لم يزود بحماية بريطانية كافية (12).

دعم ابن الرشيد

ورغم موافقة الدولة العثمانية على الوضع القائم في الكويت إلا انها ساعدت ابن الرشيد مادياً وعسكرياً، بما أدى الى توقع حملة مشتركة من الأتراك وابن الرشيد على الكويت (13)، لهذا استعدت القوات البحرية البريطانية للدفاع عن المدينة، وحضنت قلعة

الشيخ في البحراء، كما صدرت الأوامر للمسفينتين «فوكس» و«بيرسوس»، لحاق بالسفن «بيغون» و«سفنكس» و«ديرست» التي الفرار من المنطقة وتقديم احتجاجاتهم وتظلماتهم للباب العالي، مطالبين بفرض النظام والأمن، والقضاء على المظالم، ومن ذلك إشارة مذكرة من رئيس كتاب السلطان يرد فيها السلطان على مذكرة الصدر العالي (رئيس الوزراء) مؤرخة في 17 من رجب 1319هـ الموافق 1901م، ومرفقاتها

على مذكرة الوثائق البريطانية من وقوع صدام بين ابن الرشيد، وبين الشيخ مبارك، وأشارت الى وجود وقفه، حتى لا يترك المجال لمفاد كبير من الاسلحة على وشك القدوم الى الشام، كما وردت الاخبار بوصول 400 عربي (بدوي) الى جوار الشام، وقد استدعى بعض اعيانهم فينبوا انهم فروا من اعتداء ابن الرشيد على الكويت، ان قسما منهم سيقى في الشام، بينما يرحل قسم منهم الى مصر، كما ان اربعين رجلاً منهم بنوون شد الرحال الى الاعتاب الملكية (السلطان)، للتظلم وطلب العالة (16).

وقد ارسل رئيس الكتاب برقية الى ولاية الشام لمنع المشايخ من القدوم الى اسطنبول، وان تقوم الولاية نيابة عنهم بعرض مطالبهم على السلطان (17). وبالفعل فإن اوامر (إرادة) السلطان قد صدرت ببناء على مذكرة الصدر الاعظم الشيخ علي والي الكويت، ويتحقق بذلك عقد اتفاقيات مع انجلترا والمشايخ الكائنين حول «جوب استكمال وسائل الحكم

^[1] محمود علي الداود، المصدر السابق، ص140.
^[2] نفس المذكرة.
^[3] 1st British relation with Turkey in the Persian Gulf repeated in Government of India (1901 Sept 21 ,137 . from foreign office to Sir O'conor No 5147/78 .F.O (19) India off, Poi 1901 July 3 Ratslow to O'conor 1 section .1900 :Kuwait. Confident (20) 127 & Secret. Library B 27 _ 26 ,120_118.from Sir O' Conor to foreign office, Telegraphic O 5174/78 .F.O (21) .Sept 190 .
^[22] أعتقد أن هذا الرقم لعدد قوات الأمير مبالغ فيه.
^[23] 1901 Oct 365.8 . from Sir O' Conor to lord Lansdown No 5174/78 .F.O (23) .Washington, M.E.Institute ,59 _ 15.The Persian Gulf state P 1959 (Hav. (Rupert (24) Report on the present situation in Najd. from the Commander 5251/78 .F.O (25) .incheef

^[1] Memorandum respecting Kuwait,pp 5147/78 .F.O (1) _12.

^[2] 1901 August 23 from sir O'conor to foreign office. Telegram 5173/78 .F.O (2)

^[3] 1901 August 20 _ 310 .from sir O'conor to lord Lansdowne. No 5173/78 .F.O (3)

^[4] 1901 August 29 ,from Tawfik Pasha to foreign office 5173/78 .F.O (4)

^[5] .65 .No .1901 September 9 .foreign office to Viceroy 5147/78 .F.O (5)

^[6] .306 .foreign office to Lascelles No 5173/78 .F.O (6) .1902 3September

^[7] September 9 _ Telegraphic 132 .from foreign office to sir O'conor No 5174/78 .F.O (7)

^[8] كتاب من رئيس كتّاب السلطان (تحسين) إلى الصدر الأعظم – قصر يلدز،الهمايوني مكتب دائرة رئيس الكتاب – رقم 9037 ص9 بتاريخ 23 شوال 1319هـ الموافق 20 كائون الثاني (يناير) 1902م.

^[9] .1901 .Sept 7 13Im .Lord Lansdowne to Sir O'conor, Telegraphic No 5173/78 .F.O (9)